

بداية السؤل  
ففي تفصيل الرسول

تأليف

الإمام عز الدين بن عبد السلام  
الشهير بالعز ابن عبد السلام  
رحمه الله تعالى

صححه وعلق حواشيه  
مولانا المنعم المجتهد أبو الفضل  
عبد الله بن الصديق الغماري

اعتنى به

خادم العلم الشريف أبي الفضل العباس  
أحمد بن منصور قرطام



الطبعة الأولى

1443 هـ — 2021 م

ISBN: 978-9938-72-215-4

## بين يدي القارئ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علم وفهم وأنعم وكرم، وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم،  
أما بعد،،

فإننا نلفت عناية القارئ الكريم أننا قد حرصنا بأن نطرح الكتاب على هيئته الأصلية التي صاغتها يد المؤلف العز بن عبد السلام رحمه الله، من غير زيادة أو نقصان، وكذلك ما خطته يد الشارح المحقق سيدي عبد الله بن الصديق رحمه الله، وقد أدخلنا كلام المحقق ملحق مع متن الكتاب حتى تتم الفائدة المرجوة وتكون أسهل على طالب العلم من إثقال الحواشي وتشتيت الذهن، وميزنا بين كلام المؤلف والمحقق الشارح بأن جعلنا كلام المؤلف بالخط العريض، وكلام المحقق الشارح يبتدأ بقولنا قال سيدي عبد الله، ولكي تتم الفائدة ألحقنا بأخر الكتاب السند والإجازة إلى قاضي الأنام العز ابن عبد السلام ولولانا المنعم سيدي عبد الله بن الصديق رحمهما الله تعالى وجزاهما عن المسلمين وعنا خير الجزاء، على أن لا يمتنع أن يُلاحظ بعض القراء من العلماء وطلبة العلم الساعين للبحث عن الحق أن الكتاب قد يحتاج مزيد من البيان والتوضيح، فالجواب ما قاله البوصيري رحمه الله:

فإنَّ فضلَ رسولِ اللهِ ليسَ لَهُ حَدٌّ فَيُعْرَبُ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمٍ

لذا نرجو من كل من يطلع على هذا الكتاب أن يتصفحه جيداً ويتدبر ما فيه من كيفية تنزيل الفروع على الأصول واستخراج الدليل، وتنزيله على الحكم، وأن يكون منصفاً للحق وأهله، وإذا ما وجد خطأً فليصلحه ويبين ذلك ولا يمس أصل الكتاب فقد قال الشاطبي في حرز الأماني:

وإن كان خرقُ فادرِكُه بفضلة

من الحلم وليصلحه من جاد مقولا

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وآله الأكرمين، ورضي الله عن صحابته أجمعين.

وبعد: فقد تكونت برياستي لجنة لنشر الرسائل النادرة من رسائل السلف الصالح، وإظهار دفتائن كنوزهم، ووكل إلى أعضاء اللجنة اختيار ما يصلح منها للنشر قبل غيره، فوقع اختياري على رسالة "بداية السؤل في تفضيل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم".

ورأيت أن البدء بها أصلح وأنجح، لما فيها من التبرك بذكر بعض فضائل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخصائصه، ولأن مؤلفها إمام عظيم أجمع العلماء على إمامته وفضله وورعه، وهو من العلماء الأفاضل الذين جمعوا بين الجهاد بالسيف واللسان والقلم، جاهد الكفار وحارب المبتدعة، وناهض الملوك الفسقة، وكان لا يفترو ولا يني في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأجمعت الخاصة والعامة على حبه وتقديره، إلى غير ذلك من البواعث والأسباب، وقد عنيت بتخريج ما في الرسالة من الأحاديث والآثار، وبإيضاح ما أشار إليه مؤلفها من الأبحاث العلمية في غضون كلامه. والله المستؤل أن يتقبل عملنا، ببركة نبيه عليه السلام ويجعله خالصاً له، ويوفقنا وينجح مساعينا، إنه أكرم مسؤل.

أبو الفضل

عبد الله الصديق الغماري

## بسم الله الرحمن الرحيم

### ترجمة المؤلف

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، والشكر له على ما أولى من نعم سابغة وأسدى، نحمده سبحانه وهو الولي الحميد، ونتوب إليه جل شأنه وهو التواب الرشيد، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة نستجلب بها نعمه، ونستدفع بها نقمه، ونَدَّخرها عدة لنا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، ونشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، جعله نبياً وأدم منجدل في طينته، ونور الوجود يوم مولده بنور طلعتة، وعم برحمته العالم حين بعثته، واختص بالشفاعة العظمى لإظهار فضله في ذلك الموقف العظيم صلى الله عليه وآله وسلم وعلى آله نجوم المهتدين ورجوم المعتدين، وغيوث الندى للعفاة<sup>1</sup> المجتدين<sup>2</sup>، ورضي الله عن صحابته الأبرار، الذين قاموا بحق صحبته وحفظ شريعته، وتبليغ دينه إلى سائر أمتة، وكانوا خير أمة أخرجت للناس كما وصفهم القرآن الكريم.

أما بعد: فهذه تعليقات وجيزة مفيدة، كتبناها على رسالة (بداية السؤل في تفضيل الرسول) تأليف الإمام المجتهد شيخ الإسلام سلطان العلماء عز الدين عبد العزيز

(1) كل طالب معروف.

(2) طالب معونته وعطاءه.

بن عبد السلام بن أبي القاسم ابن حسن بن محمد بن مهذب السلمي ابن محمد، ترجمه الذهبي في السير وقال في حقه: بلغ رتبة الاجتهاد، قدم إلى مصر من الشام فأقام بها أكثر من عشرين سنة أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر يغلظ على الملوك فمن دونهم وله في ذلك مواقف مشهودة، ولما دخل مصر بالغ الحافظ المنذري في الأدب معه وامتنع عن الإفتاء لأجله، وقال كنا نفتي قبل حضوره أما بعد حضوره فمنصب الفتيا متعين فيه اهـ.

وقال ابن كثير: انتهت إليه رياسة المذهب - الشافعي - وقُصد بالفتوى من سائر الآفاق، وكان في آخر عمره لا يتقيد بالمذهب بل اتسع نطاقه وأفتى بما أدى إليه اجتهاده، وقال جمال الدين ابن الحاجب إمام المالكية: ابن عبد السلام أفقه من الغزالي، لبس خرقة التصوف من الشهاب السهروردي، وكان يحضر عند الشيخ أبي الحسن الشاذلي ويسمع كلامه في الحقيقة ويعظمه، وقال الشاذلي: قيل لي: ما على وجه الأرض مجلس في الفقه أبهى من مجلس الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وما على وجه الأرض مجلس في الحديث أبهى من مجلس الشيخ زكي الدين بن عبد العظيم، وما على وجه الأرض مجلس في علم الحقائق أبهى من مجلسك، قلت: هذا من الإلهام المؤيد بالواقع الملموس فإنه لم يكن في ذلك العصر من يماثل هؤلاء فيما أختصهم الله به، وللشيخ عز الدين كرامات كثيرة، وألف كتباً لم يسبق إلى كثير منها ناهيك بقواعده الكبرى فإنها تدل على تبحره في الشريعة وغوصه على دقائقها وهي أكبر

ءليل على بلوغة رتبة الاجتهاد المطلق؁ ولد سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمسائة وءوفى بمصر عاشر جمادى الأولى سنة سءين وستمائة.

قال القطب البونى: كان مع شءته وصلابته حسن المحاضرة بالنوادر والأشعار يحضر السماع ويقص فيه.

وقال ابن كءير: كان لطيفاً ظريفاً يستشهد بالأشعار اه؁ رضى الله عنه وأرضاه؁ وأنزله منزلة الصءيقين الأبرار؁ ونفعنا ببركة خدمة رسالته هذه وغيرها من رسائله الءى اعءزمننا نشرها؁ والله الموفق لا رب غيره؁ وهو الهادى إلى سواء السبيل.

أبو الفضل

عء الله محمد الصءيق الغمارى الحسنى

عفى الله عنه



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ يَسْرُ وَأَعْنِ يَا كَرِيمَ

قال الشيخ الإمام شيخ الإسلام مفتي الأنام صدر العراق والشام عز الدين محمد عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الشافعي رضي الله عنه.

قال الله تعالى لتبيننا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، مُتَمَنِّنا عليه، مُعَرِّفًا لِقَدْرِهِ لديه ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ النساء: 113.

وقد فَضَّلَ اللهُ تعالى بعضَ الرُّسُلِ على بعضٍ: ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾

قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري: أي من غير واسطة ملك، وهم ثلاثة أنبياء على ما ورد أولهم آدم عليه السلام، أخرج أحمد والنسائي عن أبي ذر رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو في المسجد فجلست فقال: (يا أبا ذر هل صليت؟ قلت: لا، قال: قم فصل، فقامت فصليت ثم جلست، فقال: يا أبا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الإنس والجن، قلت: يا رسول الله أو للإنس شياطين؟ قال: نعم، قلت يا رسول الله الصلاة؟ قال: خير موضوع من شاء أقل ومن شاء أكثر، قلت: يا رسول الله فالصوم؟ قال: فرض مجزى وعند الله مزيد، قلت: يا رسول الله فالصدقة؟ قال: أضعاف مضاعفة، قلت: يا رسول الله فأيهما أفضل؟ قال: جهد من

مقل أو سير إلى فقير، قلت: يا رسول الله، أي الأنبياء كان أول؟ قال: آدم: قلت: يا رسول الله ونبياً كان؟ قال: نعم نبي مكرم، قلت: يا رسول الله كم المرسلون؟ قال: ثلاثمائة وبضعة عشر جمماً غفيراً، وقال مرة: (خمسة عشر)، قال: يا رسول الله أيما أنزل عليك أعظم؟ قال: آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ البقرة: 255، "صححه ابن حبان والحاكم وسلمه الذهبي"، وهذا مما رواه المسعودي قبل اختلاطه، وفي تفسير ابن مردويه بإسناد ضعيف عن أبي ذر قال: قلت يا رسول الله: رأيت آدم، أنبياً كان؟ قال: نعم كلمه الله قبلاً - يعني عياناً- فقال ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ البقرة: 35، وفي صحيح بن حبان ومستدرك الحاكم عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رجلاً قال يا رسول الله أنبياً كان آدم؟ قال: (نعم نبي معلم مكرم، قال: كم بينه وبين نوح؟ قال: عشرة قرون، قال: يا رسول الله كم كانت الرسل؟ قال: ثلاثمائة وخمسة عشر جمعاً غفيراً) "صححه الحاكم على شرط مسلم وسلمه الذهبي"، والظاهر أن الرجل هو أبو ذر، وللحديث طرق ذكرها الحافظ السيوطي في أماليه التفسيرية بشيء من التوسع، وثانيهم موسى عليه السلام، قال الله تعالى ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ النساء: 164، وثالثهما سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد كلمه الله تعالى في ليلة الإسراء والمعراج، كما هو معلوم، انتهى.

## الفضل الأوّل صريح في أصل المفاضلة

قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري: يعني قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ البقرة: 253 " فهذا صريح في أصل المفاضلة بين الرسل عليهم الصلاة والسلام، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ الإسراء: 55 " وهذا أيضاً صريح، أما حديث (لا تفضلوا بين أنبياء الله) وفي رواية (لا تخيروا بين أنبياء الله) - وهو بكلتا روايتيه في الصحيح - فالمراد به النهي عن التفضيل بمجرد الرأي الذي لا يستند إلى دليل، أو المراد به النهي عن التفضيل الذي يؤدي إلى نقص المفضول، أو يؤدي إلى الخصومة والتنازع، أو النهي عن التفضيل في النبوة نفسها وهي لا مفاضلة فيها لقوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ البقرة: 285 " وقال الحلبي: الأخبار الواردة في النهي عن التخيير إنما هي في مجادلة أهل الكتاب وتفضيل بعض الأنبياء على بعض بالمخايرة، لأن المخايرة إذا وقعت بين أهل دينين لا يؤمن أن يخرج أحدهما إلى الإزراء بالآخر فيفضي إلى الكفر، فأما إذا كان التخيير مستنداً إلى مقابلة الفضائل لتحصيل الرجحان فلا يدخل في النهي. اهـ، وهو حسن جميل ويؤيده سبب ورود الحديث كما يشهد له الواقع الملموس فقد وقعت منازعات بين المسلمين والمبشرين أدت إلى إزراء كبير ببعض الأنبياء بسبب التفضيل الذي هو في هذه الحالة محرم قطعاً انتهى.

## والثاني

قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري: وهو في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ البقرة: 253 "والمراد ببعضهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإن الله فضله من وجوه متعددة وبمراتب متباعدة، وفي الإبهام تفخيم لشأنه كأنه العلم المتعين لهذا الوصف المستغنى عن التعيين، انتهى.

في تَضْعِيفِ الْمَفَاضِلَةِ بِدَرَجَاتٍ، وَنَكْرَها تَنْكِيرَ التَّعْظِيمِ بِمَعْنَى دَرَجَاتٍ أَيْ دَرَجَاتٍ وَقَدْ فَضَّلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ وَجْهِهِ:

1- منها: أَنَّهُ سَادَ الْكُلِّ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (أَنَا سَيِّدُ وُلْدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ)

قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري: رواه أبو بكر بن أبي عاصم في كتاب الأدب له عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وروى ابن مردويه في تفسيره عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لما أسري بي إلى السماوات) فذكر حديث الإسراء بطوله وقال في آخره (فأنا بنعمة الله سيد ولد بن آدم ولا فخر وأنا عبد مقبوض وما عند الله خير وأبقى، وفي المستدرک للحاكم من حديث عائشة رضي الله عنها وعن أبيها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب) وهو حديث ضعيف خلافاً لقول الذهبي أنه موضوع، وأخرج الحارث بن أبي أسامة عن عائشة رضي الله عنها

وعن أبيها أيضاً قالت: قلت يا رسول الله أنت سيد العرب؟ قال (أنا سيد ولد بن آدم ولا فخر وآدم تحت لوائى ولا فخر) وللحديث طرق، انتهى.

والسيد من اتصف بالصفات العالیه والأخلاق السنیة، وهذا مشعرٌ بأنه أفضلُ منهم في الدارين، أما في الدنيا فلما اتصف به من الأخلاق المذكورة، وأما في الآخرة فلأن جزاء الآخرة مرتب على الأوصاف والأخلاق، فإذا فضلهم في الدنيا في المناقب والصفات فضلهم في الآخرة في المراتب والدرجات، وإنما قال صلى الله عليه وآله وسلم: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر) لتعرف أمته منزلته من ربه عز وجل.

ولما كان من ذكر مناقب نفسه إنما يذكرها افتخاراً في الغالب، أراد صلى الله عليه وآله وسلم أن يقطع وهم من يتوهم من الجهلة أنه ذكر ذلك افتخاراً، فقال: (ولا فخر).

2- ومنها: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (وبيدي لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر).

قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري: روى أحمد وابن ماجه والترمذي واللفظ له عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر، ما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائى، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر) حسنه

الترمذي، وروى الدارمي والترمذي وأبو يعلى وأبو نعيم والبيهقي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا وأنا قائدهم إذا وفدوا وأنا خطيبهم إذا أنصتوا وأنا شافعهم إذا حبسوا وأنا مبشرهم إذا ألبسوا لواء الكرم بيدي ومفاتيح الجنة بيدي ولواء الحمد بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر يطوف على ألف خادم كأنهم اللؤلؤ المكنون)، انتهى.

3- ومنها قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ إِلَّا تَحْتَ لَوَائِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرٌ) وهذه الخصائص تدل على علو مرتبته على آدم وغيره، إذ لا معنى للتفضيل إلا التخصيص بالمناقب والمراتب.

4- ومنها: أن الله أخبره أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري: حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا، لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ الفتح: 1-2" الآية نزلت في صلح الحديبية سنة ست من الهجرة، وكانت إيذاناً وبشارة بفتح مكة والطائف وغيرهما، وإسناد الذنب فيها إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم مؤول لقيام الدليل القاطع على عصمة الأنبياء عليهم السلام، واختلف في التأويل على أقوال أقربها أن الغفر معناه الستر، والستر إما بين العبد والذنب، أو بين الذنب وعذابه، والمراد هنا الأول، فمعنى يغفر الله لك أي

ليجعل بينك وبين الذنوب ساتراً من العصمة فلا يحصل منك ذنب أبداً لا في الماضي ولا في الحال ولا في المستقبل، انتهى.

ولم ينقل أنه أخبر أحداً من الأنبياء بمثل ذلك، بل الظاهر أنه لم يُخبرهم، لأنَّ كُلَّ واحدٍ منهم إذا طُلبَ منه الشفاعة في الموقِفِ ذكرَ خَطِيئَتَهُ التي أصاب وقال: (نَفْسِي نَفْسِي)، ولو عَلِمَ كُلُّ واحدٍ منهم بَعْفُرانِ خَطِيئَتِهِ التي أصاب لم يُوجَلِ منها في ذلك المقام، وإذا اسْتَشْفَعَتِ الخلائقُ بالنبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ في ذلك المقام قال: (أنا لها).

قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري: هذا وارد في حديث الشفاعة الطويل وفيه أن الناس يذهبون إلى آدم ونوح وإبراهيم وموسى يطلبون الشفاعة فكل منهم يذكر أن الله غضب اليوم غضباً لم يسبق قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ثم يقول "نفسى، نفسى" ويحيلهم على غيره حتى يأتوا عيسى فيقول لهم "لست هناكم ولكن أتوا محمداً عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر" فإذا أتوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (أنا لها أنا لها) الحديث وهو مخرج في الكتب الستة وغيرها بألفاظ وطرق، انتهى.

## 5- ومنها: أَنَّهُ أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى تَخْصِيصِهِ وَتَفْضِيلِهِ.

قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري: في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من تنشق عنه الأرض وأول شافع وأول مشفع) مشفع بفتح الفاء المشددة، مقبول الشفاعة، وفي حديث الشفاعة الطويل الذي أشرنا إليه آنفاً أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين يذهب للشفاعة يستأذن على الله فيأذن له فإذا رأى الله تعالى خر ساجداً فيدعه ربه ما شاء ثم يقال (ارفع رأسك محمد، قل تسمع، وسل تعط، واشفع تشفع) الحديث، انتهى.

## 6- ومنها: إِيثارُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى نَفْسِهِ بِدَعْوَتِهِ، إِذْ جَعَلَ اللهُ عِزَّ وَجَلِّ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةَ مُسْتَجَابَةٍ، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ تَعَجَّلَ دَعْوَتَهُ فِي الدُّنْيَا، وَاخْتَبَأَ هُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، دَعْوَتَهُ شَفَاعَةً لِأُمَّتِهِ.

قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري: في الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً)، وفي مسندي أحمد وأبي يعلى عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أنه لم يكن نبي إلا له دعوة قد تنجزها في الدنيا وأني



قد اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي وأنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من  
تنشق عنه الأرض ولا فخر وييدي لواء الحمد ولا فخر، آدم فمن دونه تحت  
لوائى ولا فخر) الحديث، وهو طويل في ذكر شفاعة الموقف وفي صحيح مسلم  
عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (أرسل إليّ  
ربي أن اقرأ القرآن على حرف فرددت عليه يا رب هوّن على أمتي فرد عليّ الثانية أن  
اقرأ على حرفين قلت يا رب هون على أمتي فرد عليّ الثالثة أن اقرأ على سبعة أحرف  
ولك بكل ردة رددتها مسألة تسألينها فقلت اللهم اغفر لأمتي اللهم اغفر لأمتي  
وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلى الخلق كلهم حتى إبراهيم عليه السلام)، وفي مسانيد  
البيزار وأحمد وأبي يعلى عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله  
وسلم: (كل نبي قد أعطى عطية فتنجزها وإنني اختبأت عطيتي شفاعة لأمتي)  
إسناده حسن وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة عن عبد الله بن عمرو وعبادة بن  
الصامت ومعاذ وأبي موسى وعوف بن مالك الأشجعي وعبد الرحمن بن أبي عقيل  
وغيرهم وهي كلها تفيد رحمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأمتة وإيثاره إياهم  
على نفسه ودعائه لهم في كل مناسبة تعرض له بل بلغ من شفقتة عليهم أن أخذه  
البكاء في بعض الأحيان كما ثبت في صحيح مسلم عن ابن عمر أن رسول الله  
صلى الله عليه وآله وسلم تلا قول إبراهيم ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ  
عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ إبراهيم: 36" وقول عيسى ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ

أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» المائدة: 118" فرفع يديه وقال (أمتي، أمتي) ثم بكى، فقال الله تعالى (يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له أَنَا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك) فصلى الله وسلم وبارك عليه، وجزاه عنا أفضل ما جزى نبياً عن أمته، انتهى.

7- ومنها: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَقْسَمَ بِحَيَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ الحجر: 72"

قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري: أخرج ابن جرير عن ابن عباس: قال ما خلق الله وما برأ وما ذراً نفساً أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره، قال الله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ الحجر: 72" يقول: وحياتك وعمرك وبقاءك في الدنيا، وقال ابن القيم في التبيان: أكثر المفسرين من السلف والخلف بل لا يعرف السلف فيه نزاعاً أن هذا القسم من الله تعالى بحياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذا من أعظم فضائله أن يقسم الرب عز وجل بحياته وهذه مزية لا تعرف لغيره ولم يوفق الزمخشري لذلك فصرف القسم إلى أنه بحياة لوط وأنه من قول الملائكة، فقال: هو على إرادة القول أي قالت الملائكة للوط عليه الصلاة والسلام (لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون) وليس في اللفظ ما يدل على واحد من الأمرين بل ظاهر اللفظ وسياقه إنما يدل على ما فهمه السلف اهـ، ومعنى الآية بإجمال ﴿لَعَمْرُكَ﴾ أي

وحياتك ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي قوم لوط أو قريشاً ﴿لَفِي سَكْرَتِهِمْ﴾ أي ضلالتهم، أو عشقهم  
قال الشاعر:

سـكران سـكر هـوى وسـكر مدامـة

ومـتى إفاقة مـن به سـكران؟

﴿يَعْمَهُونَ﴾ يتحIRON أو يترددون، انتهى.

والإقسامُ بحياة المُقسَمِ بحياته يدلُّ على شَرَفِ حياته وعِزَّتِها عند المُقسَمِ بها.

وإنَّ حياته صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم لجديرةٌ أن يُقسَمَ بها، لما كان فيها من البركةِ  
العامةِ والخاصةِ، ولم يثبتْ هذا لغيره صلى الله عليه وآله وسلم.

8- ومنها: أنَّ الله تعالى وقره في ندائه، فناداه بأحبِّ أسمائه، وأسنى أوصافه فقال:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ الأنفال: 64، ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ المائدة: 41، ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْمَلُ﴾ المزمل: 1،

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ المدثر: 1

قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري: قال الحافظ أبو نعيم في كتاب دلائل  
النبوة: ومن فضائله إخبار الله عز وجل عن إجلال قدر نبيه صلى الله عليه وآله  
وسلم وتبجيله وتعظيمه وذلك أنه ما خاطبه في كتابه ولا أخبر عنه إلا بالكناية التي  
هي النبوة والرسالة التي لا أجل منها فخراً ولا أعظم خطراً وخاطب غيره من  
الأنبياء وقومهم وأخبر عنهم بأسمائهم ولم يذكرهم بالكناية التي هي غاية المرتبة إلا  
أن يكون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في جملتهم بمشاركته معهم في الخطاب

والخبر، فأما في حال الانفراد فما ذكرهم إلا بأسمائهم، وذكر جملة من الآيات في نداء الأنبياء والخبر عنهم، ثم قال: فكل موضع ذكر فيه محمد باسمه أضاف إليه ذكر الرسالة فقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ آل عمران: 144، ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ الفتح: 29، ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ الأحزاب: 40، ﴿وَأَمَّنُوا بِمَا نُنزِّلُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ محمد: 2 فسماه ليعلم من جده أن أمره وكتابه هو الحق لأنهم لم يعرفوه إلا بمحمد، إلى أن قال: ثم جمع في الذكر بين اسم خليله ونبيه فسمى خليله باسمه وكفى حبيبه بالنبوة فقال: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ﴾ آل عمران: 68 فكناه إجلالاً له ورفعة لفضل مرتبته ونباهته عنده ثم قدمه في الذكر على من تقدمه في البعث، فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾ الأحزاب: 7 الآية، ثم أسند عن الحسن عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ (كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث) اهـ مختصر، وفي إسناد الحديث المذكور ضعف لكن ورد من طريق آخر عن قتادة مرسلًا بإسناد صحيح، وروى البزار عن أبي هريرة في الآية قال: خيار ولد آدم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وخيرهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ومما يتصل بهذه الخصيصة ويناسبها أن الله تعالى نهانا أن نناديه باسمه مجرداً عن التعظيم، قال أبو نعيم: ومن فضائله صلى الله

عليه وآله وسلم أن الناس نهاهم الله عز وجل أن يخاطبوا رسوله باسمه وأخبر سائر الأمم أنهم كانوا يخاطبون رسلهم بأسمائهم كقولهم ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ الأعراف: 138، ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ المائدة: 112، ﴿يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ هود: 53، ﴿يَا صَالِحُ اتِّئْنَا﴾ الأعراف: 77 وقال: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ النور: 63 فندبهم الله تعالى إلى تكنيته بالنبوة والرسالة ترفيعاً لمنزله خصه الله بهذه الفضيلة من بين أنبيائه ورسله اهـ. مختصر، وروى ابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو نعيم عن ابن عباس في الآية قال: كانوا يقولون يا محمد يا أبا القاسم، فنهاهم الله عن ذلك إعظاماً لنبية صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: يا نبي الله يا رسول الله، وروى ابن جرير عن مجاهد ﴿كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ قال أمرهم أن يدعوا يا رسول الله في لين وتواضع، ولا يقولوا يا محمد في تجهم، ورواه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم بطرق، وروى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة في الآية قال: أمر الله أن يُهاب نبيه وأن يُبجل وأن يُعظم وأن يُفخم وأن يُشرف، وروى عبد بن حميد عن عكرمة في الآية قال: لا تقولوا يا محمد ولكن قولوا يا رسول الله، وقال سعيد بن جبیر والحسن البصري مثل ذلك رواه عنهما عبد بن حميد أيضاً، وقال مقاتل في الآية: يقول لا تُسمعهوا إذا دعوتموه يا محمد ولا تقولوا يا ابن عبد الله ولكن شرفوه فقولوا يا نبي الله، يا رسول الله، وقال زيد بن أسلم في الآية أيضاً

أمرهم الله أن يُشرفوه، وقال ابن كثير: هذا قول وهو ظاهر من السياق كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ البقرة: 104، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ الحجرات: 2، فهذا من باب الأدب في مخاطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والكلام معه وعنده كما أمروا بتقديم الصدقة قبل مناجاته، اه، وهذا القول هو الراجح من وجوه بينها شقيقنا الحافظ أبو الفيض في كتاب (تشنيف الأذان) فليراجع، انتهى.

وهذه الخصيصة لم تثبت لغيره، بل ثبت أن كلاً منهم نودي باسمه فقال الله تعالى: ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ﴾ البقرة: 35، ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي﴾ المائدة: 110، ﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾ النمل: 9، ﴿يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ﴾ هود: 48، ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً﴾ ص: 26، ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ، قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ الصافات: 104-105، ﴿يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ هود: 81، ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ مريم: 7، ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ مريم: 12.

ولا يخفى على أحد أن السيد إذا دعا أحد عبده بأفضل ما وجد فيهم من الأوصاف العلية والأخلاق السنية، ودعا الآخرين بأسمائهم الأعلام التي لا تُشعرُ بوصف من الأوصاف، ولا بخلق من الأخلاق، أن منزلة من دعا بأفضل الأسماء والأوصاف أعزُّ عليه، وأقربُ إليه ممن دعا باسمه العلم، وهذا معلوم بالعرف أن من دعي

بأفْضَلِ أَسْمَائِهِ وَأَوْصَافِهِ وَأَخْلَاقِهِ، كَانَ ذَلِكَ مَبَالِغَةً فِي تَعْظِيمِهِ وَاحْتِرَامِهِ. حَتَّى قَالَ الْقَائِلُ:

لَا تَدْعُنِي إِلَّا بِمَا عَبَدَهَا فَإِنَّهُ أَحْسَنُ أَسْمَائِي

9- ومنها: أَنَّ مُعْجِزَةَ كُلِّ نَبِيٍّ تَصَرَّمَتْ وَانْقَضَتْ، وَمُعْجِزَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَقِيَتْ وَهِيَ لِلأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، -وهي القرآنُ المبين-، باقية إلى يَوْمِ الدِّينِ (ولم يذهب) ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر: 9.

قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري: في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (ما من الأنبياء نبي إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابِعاً يوم القيامة) قال العلماء: ليس المراد من الحديث حصر معجزاته في القرآن، وأنه لم يؤت غيره، وإنما المراد أن القرآن معجزته العظمى، وأنه باق مستمر لا ينقرض ولا يدخله نقص ولا تبديل ولهذا رجا أن يكون أكثر الأنبياء تابِعاً يوم القيامة وقد حقق الله رجاءه فجعل أُمَّته أكثر الأمم صلى الله عليه وآله وسلم، انتهى.

## 10- ومنها تسليمُ الحَجَرِ عليه، وَحَنِينُ الجِذْعِ إليه

قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري: أما تسليم الحجر ففي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن) وفي الباب أحاديث أخرى، وأما حنين الجذع فرواه الشيخان عن سهل بن سعد، والبخاري وأحمد عن جابر وابن عمر، والدارمي وأحمد وابن ماجه عن ابن عباس، والدارمي عن أبي سعيد وبريدة، وأحمد والترمذي وابن ماجه عن أنس، والبيهقي في الدلائل عن أم سلمة، والشافعي وأحمد والدارمي وابن ماجه وأبو يعلى وسعيد بن منصور عن أبي بن كعب والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الدلائل عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها، والزيبر بن بكار في أخبار المدينة عن المطلب بن أبي وداعة، قال عمر بن سواد: قال لي الإمام الشافعي: "ما أعطى الله تعالى نبياً ما أعطى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم"، قلت: أعطى عيسى إحياء الموتى، فقال: "أعطى محمداً حنين الجذع، فهذا أكبر من ذلك" رواه البيهقي وغيره، انتهى

ولم يَثْبُتْ لواحدٍ من الأنبياء عليهم السلام مثل ذلك. \* خُذْ ما تراه ودَعْ شيئاً سمعتَ به\* .



**11- ومنها: أَنَّهُ وُجِدَ فِي مَعْجَزَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَا هُوَ أَظْهَرُ فِي الإِعْجَازِ مِنْ مَعْجَزَاتِ غَيْرِهِ، كَتَفَجُّرِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ**

قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري: تعددت قصة تفجير الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وآله وسلم في الحضر والسفر، ففي رواية منها أن الذين شربوا وتوضئوا من ذلك الماء كانوا ألفاً وأربعمائة، وهذه رواية جابر بن عبد الله في صحيح البخاري، وفي رواية أخرى أنهم كانوا زهاء ثلاثمائة وهذه رواية قتادة عن أنس في الصحيحين، وفي أخرى أنهم كانوا ما بين السبعين والثمانين، وهذه رواية ثابت عن أنس في الصحيحين أيضاً ورواها البخاري من طريق الحسن عن أنس، ومن طريق حميد عنه وفيها أنهم كانوا ثمانين وزيادة، ورواها كثير من الصحابة الذين شاهدوها مثل عبد الله مسعود والبراء بن عازب وأبي قتادة وابن عباس وأبي لبيلى الأنصاري وأبي رافع وأبي عمرة الأنصاري وعمران بن أبي حصين وزبياد بن الحارث الصدائي وحبان - بكسر الحاء على المشهور - بن ببح - بضم الموحدة وتشديد المهملة، وغيرهم، قال أبو نعيم الحافظ هذه الآية من أعجب الآيات أعجوبة وأجلها معجزة وأبلغها دلالة، شاكلت دلالة موسى في تفجير الماء من الحجر حين ضربه بعصاه، بل هذا أبلغ في الأعجوبة لأن نبع الماء من بين اللحم والعظم أعجب وأعظم من خروجه من الحجر لأن الحجر سنخ من أسناخ الماء مشهور في المعلوم مذكور في المتعارف، وما روي قط ولا سمع في ماضي الدهور بماء نبع وانفجر من آحاد بني

آدم حتى صدر عنه الجم الغفير من الناس والحيوان رواء، وانفجار الماء من الأحجار ليس بمنكر ولا بديع وتفجره من بين الأصابع معجز بديع، انتهى.

فإنه أبلغ في خرق العادة من تفجره من الحجر، لأن جنس الأحجار مما يتفجر منه الماء، فكانت معجزته بانفجار الماء من بين أصابعه أبلغ من انفجار الحجر لموسى عليه السلام.

12- ومنها: أن عيسى عليه السلام أبرأ الأكمه (والأبرص) مع بقاء عينه في مقرها، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رد العين بعد أن سألت على الخد

قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري: أخرج أبو يعلى وأبو نعيم من طريق عاصم بن عمر بن قتادة عن أبيه عن جده قتادة أنه أصيبت عينه يوم أحد فسالت حدقته على وجنته فأرادوا أن يقطعوها فسألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال (لا) فدعا به فغمز عينه براحته فكان لا يدري أي عينه أصيبت، وروى البيهقي عن أبي سعيد الخدري عن قتادة بن النعمان - وكان أخاه لأمه - أن عينه ذهبت يوم أحد فجاء بها إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فردها فاستقامت، قال البيهقي: وذكر الواقدي مثله، وزاد: فكانت أقوى عينيه وأصحهما بعد أن كبر، وروى عبد الله بن إدريس عن محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر عن قتادة عن جابر بن عبد الله قال: أصيبت عين قتادة بن النعمان يوم أحد وكان قريب عهد بعرس فأتى النبي

صلى الله عليه وآله وسلم فأخذها بيده فردها فكانت أحسن عينيه وإحداهما نظراً،  
ولهذه القصة طرق وورد أنها أصيبت يوم بدر، وقيل يوم الخندق، قال الحافظ بن  
عبد البر: الأصح والله أعلم أن عين قتادة أصيبت يوم أحد اهـ. وذكر الأصمعي أن  
رجلاً من ولد قتادة بن النعمان وفد على عمر بن عبد العزيز فسأله عمر ممن الرجل؟  
فقال:

أنا ابن الذي سألت على الخد عينه  
فردت بكف المصطفى أحسن الرد  
فعدت كما كانت لأول أمرها  
فيا حسن ما عين ويا حسن ما رد  
فقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه:

هذي المكارم لا قعبان من لبن  
شيبا بماء فعاد بعد أبوالا

"تنبيه" وقع لأبي ذر مثل قصة قتادة فروى أبو يعلى من طريق عبد الرحمن بن الحارث  
بن عبيدة عن جده قال: أصيبت عين أبي ذر يوم أحد فبزق فيها النبي صلى الله عليه  
وآله وسلم فكانت أصح عينيه، ويقرب من هذا ما رواه ابن أبي شيبه والبغوي وابن  
السكن والطبراني وأبو نعيم من طريق عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز حدثني  
رجل من بني سلمان بن سعد عن أمه أن خالها حبيب بن فويك - بالواو أو الدال أو

الراء مصغراً۔ حدثها أن أباه خرج به إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعيناه مبيضتان لا يبصر بهما شيئاً فسأله ما أصابه؟ قال: إني كنت أمرن جملاً لي فوضعت رجلي على بيض حية فأصبت ببصري فنفت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عينيه فأبصر، قال فرأيته يدخل الخيط في الإبرة وإنه لابن ثمانين سنة، وإن عينيه لمبيضان، انتهى.

وفيه مُعجزة من وَجْهَيْنِ:

إحداهما: التثامُها بعد سَيَلانها.

والآخر: رُدُّ البصر إليها بعد فَقْدِهِ منها.

**13- ومنها: أَنَّ الأموات الذين أحياهم**

قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري: أي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنه أحيأ بالإيمان أمماً لا تحصى، وما أحيأه عيسى عليه السلام من موتى الأبدان لا يتجاوز عدد أصابع يد واحدة، على أنه صح إحياء الموتى لأفراد من أمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك مضاف إلى جملة معجزاته، وقد ذكرنا شيئاً من ذلك في كتابنا (الحجج والبيئات في إثبات الكرامات) فليراجع، ولا بن أبي الدنيا جزء (من عاش بعد الموت) وهو مطبوع، انتهى.

من الكفر بالإيمان أكثر عدداً ممن أحياهم عيسى بحياة الأبدان، وشتان بين حياة الإيمان وحياة الأبدان.

14- ومنها: أن الله عز وجل يكتب لكل نبيٍّ من الأجر بقدر أعمال أمته وأحوالها وأقوالها، وأمته صلى الله عليه وآله وسلم شَطْرُ أهل الجنة، وقد أخبر الله تعالى: "أنهم خيرُ أمةٍ أُخرجت للناس"، وإنما كانوا خيرَ الأمم لما اتصفوا به من المعارف والأحوال والأقوال والأعمال، فما من معرفةٍ ولا حالة، ولا عبادة، ولا مقالة، ولا شيء مما يُتقرب به إلى الله تعالى، مما دلَّ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ودعا إليه، إلا وله أجره وأجر من عمل به إلى يوم القيامة، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (من دعا إلى هدى كان له أجره وأجر من عمل به إلى يوم القيامة)

قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري: أحمد ومسلم والأربعة من حديث أبي هريرة بلفظ (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً)، انتهى.

ولا يبلغ أحد من الأنبياء إلى هذه المرتبة، وقد جاء في الحديث: (أن الخلق عيال الله، فأحبهم إليه أنفعهم لعياله)

قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري: أبو يعلى والبزار والطبراني والحاثر بن أبي أسامة وأبو نعيم والبيهقي وغيرهم عن أنس مرفوعاً بلفظ (الخلق كلهم عيال الله

فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله) وإسناده ضعيف، ورواه الطبراني في الكبير والأوسط وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود بلفظ (الخلق كلهم عيال الله فأحب الخلق إلى الله من أحسن إلى عياله) وإسناده جيد، ورواه الديلمي في مسند الفردوس عن أبي هريرة بلفظ (الخلق كلهم عيال الله وتحت كنفه فأحب الخلق إلى الله من أحسن إلى عياله) وفي الباب غيره، وقال أبو العتاهية مقتبساً:

عيال الله أكرمهم عليه      أبثهم المكارم في عياله  
ولم تر مثنياً من ذي الأفعال      عليه قط أفصح من فعاله

قال العسكري في معنى الحديث: مخرج هذا الكلام على المجاز والتوسع كأن الله تعالى لما كان المتضمن بأرزاق العباد والكافل بهم كانوا كالعيال له اهـ، قلت: لا داعي إلى ارتكاب المجاز فإن معنى العيال الفقراء قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ التوبة: 28" أي: فقراً، وقال: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾ الضحى: 8" أي: فقيراً، ولا شك أن الخلق كلهم فقراء الله ومحتاجون إليه، انتهى.

فإذا كان صلى الله عليه وآله وسلم قد نفع شَطْرَ أهلِ الجنة، وغيره من الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم، إنما نفع جزءاً من أجزاء الشَطْرِ الآخر، كانت منزلته صلى الله عليه وآله وسلم في القرب على قدر منزلته في النفع، فما من عارفٍ من أمته إلا وله صلى الله عليه وآله وسلم مثل أجر معرفته، مُضافاً إلى معارفه صلى الله عليه وآله وسلم، وما من ذي حالٍ من أمته إلا وله صلى الله عليه وآله وسلم مثل

أَجْرُهُ عَلَى قَدْرِ حَالِهِ، مَضْمُومًا إِلَى أَحْوَالِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَمَا مِنْ ذِي مَقَالٍ يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا وَلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِثْلُ أَجْرِ ذَلِكَ الْقَوْلِ، مَضْمُومًا إِلَى مَقَالَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَتَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ.

وَمَا مِنْ عَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ الْمُقَرَّبَةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ صَلَاةٍ وَزَكَاةٍ وَعِتْقٍ وَجِهَادٍ وَبِرٍّ وَمَعْرُوفٍ وَذِكْرِ، وَصَبْرٍ، وَعَفْوٍ، وَصَفْحٍ، إِلَّا وَلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِثْلُ أَجْرِ عَامِلِيهِ، مَضْمُومًا إِلَى أَجْرِهِ عَلَى أَعْمَالِهِ، وَمَا مِنْ دَرَجَةٍ عَلَيَّةٍ، وَمَرْتَبَةٍ سَنِيَّةٍ نَاهَا أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِهِ بِإِرْشَادِهِ وَدَلَالَتِهِ إِلَّا وَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهَا مَضْمُومًا إِلَى دَرَجَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَمَرْتَبَتِهِ، وَيَتَضَاعَفُ ذَلِكَ بَأَنَّ مَنْ دَعَا مِنْ أُمَّتِهِ إِلَى هُدًى، أَوْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً كَانَ لَهُ أَجْرٌ مَنْ عَمِلَ بِذَلِكَ عَلَى عَدَدِ الْعَامِلِينَ، ثُمَّ يَكُونُ هَذَا الْمُضَاعَفُ لِتَبَيُّنِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، لِأَنَّهُ دَلَّ عَلَيْهِ وَأُرْشِدَ إِلَيْهِ، وَلِأَجْلِ هَذَا بَكَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ

قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري: ثبت هذا في حديث الإسراء المخرج في الصحيحين وغيرهما من طرق، انتهى.

بِكَاءٍ غِبْطَةٍ غَبَطَ بِهَا نَبِينَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِذْ يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِهِ الْجَنَّةَ أَكْثَرُ مِمَّا يَدْخُلُ مِنْ أُمَّةِ مُوسَى، وَلَمْ يَبِكْ حَسَدًا

قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري: بل لو كان موسى عليه السلام ممن يجوز عليه الحسد في الحياة لما جاز عليه وهو في عالم لا حسد فيه ولا أحقاد، ومما يؤيد

إبعاد فكرة الحسد نهائياً أن موسى عليه السلام كان في تلك الليلة مشفقاً على أمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم داعياً له إلى طلب التخفيف عنهم عدة مرات، حتى قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم (لقد راجعت ربي حتى استحيت منه) وليس من طبيعة الحاسد النصح والإشفاق، انتهى.

كما يتوهمه بعض الجهلة، وإنما بكى أسفاً على ما فاته من مثل مرتبته.

15- ومنها: أن الله أرسل كل نبي إلى قومه خاصة، وأرسل نبينا صلى الله عليه وآله وسلم إلى الجن والإنس

قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري: وهذا ثابت بالنص والإجماع القاطعين، وهل أرسل صلى الله عليه وآله وسلم إلى الملائكة؟ اختلف في ذلك على قولين: أحدهما: أنه لم يرسل إليهم جزم به البيهقي والحلي من الشافعية، ومحمود بن حمزة الكرمانى من الحنفية في كتابه العجائب والغرائب، ونقل البرهان النسفي والفخر الرازي الإجماع عليه في تفسيرهما وجزم به من المتأخرين الحافظ العراقي في نكته على ابن الصلاح والجلال المحلي في شرح جمع الجوامع.

والقول الثاني: أنه أرسل إليهم وهذا القول رجحه تقي الدين السبكي والحافظ السيوطي، وزاد التقي السبكي أنه مرسل إلى جميع الأنبياء والأمم السابقة، وأن قوله صلى الله عليه وآله وسلم (بعثت إلى الناس كافة) شامل لهم من لدن آدم إلى قيام الساعة، ورجحه البارزي وزاد أنه مرسل إلى جميع الحيوانات والجمادات، واستدل



على ذلك بشهادة الضب له الرسالة وشهادة الشجر والحجر له، قال الحافظ السيوطي وأزيد على ذلك أنه مرسل إلى نفسه اهـ.

قلت: حديث شهادة الضب ضعيف لكن ثبتت شهادة الذئب والجمل والشجر والحجر، وأقوى ما يستدل به على إرساله للملائكة قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهُ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ الأنبياء: 29 قال الحافظ السيوطي: فهذه الآية إنذار للملائكة على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن الذي أنزل عليه وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ الأنعام: 19 قال: فثبت بذلك إرساله إليهم اهـ، وراجع كتابه "تزيين الأرائك في إرسال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الملائكة" وهو مطبوع ضمن كتاب "الحاوي للفتاوى حقوقه طبع مكتبة القاهرة"، انتهى.

فلكل نبيٍّ من الأنبياء ثوابٌ تبليغه إلى أمته، ولنبينا صلى الله عليه وآله وسلم ثوابٌ التبليغ إلى كلِّ مَنْ أُرْسِلَ إليه تارةً مباشرةً الإبلاغ، وتارةً بالتسبب إليه، ولذلك تمنن الله تعالى عليه بقوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ الفرقان: 51، ووجهُ التَمَنُّنِ أَنَّهُ لَوْ بَعَثَ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا لَمَا حَصَلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَّا أَجْرُ إِنْذَارِهِ لِأَهْلِ قَرْيَتِهِ.

16- ومنها: أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَلَّمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالطُّورِ، وَبِالْوَادِي الْمَقْدَسِ، وَكَلَّمَ نَبِيَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى.

قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري: جاء في بعض طرق حديث الإسراء من حديث أنس قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (ثم صعد بي إلى سبع سموات وأتيت سدرة المنتهى فغشيتني ضبابه خررت ساجداً فقيل لي إني يوم خلقت السموات والأرض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة) الحديث رواه النسائي، وفي رواية أخرى من حديث أنس أيضاً (ثم انطلق بي حتى انتهى إلى شجرة - يعني السدرة - فغشيتني سحابة فيها من كل لون فرفضني جبريل - أي تركني - وخررت ساجداً لله فقال الله لي: يا محمد إني يوم خلقت السموات والأرض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة فقم بها أنت وأمتك، ثم انجلت عني السحابة وأخذ بيدي جبريل) رواه ابن أبي حاتم وغيره، انتهى.

17- ومنها: أنه قال: (نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة المُقتضى لهم قبل الخلائق، ونحن أول من يدخل الجنة).

قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري: في صحيح مسلم عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقتضى لهم قبل الخلائق)، وفي أوسط معاجم الطبراني بسند حسن عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (الجنة حرمت على

الأنبياء حتى أدخلها وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي)، وفيه من حديث ابن عباس نحوه، انتهى.

### 18- ومنها: أنه كلما ذكر السؤدد مُطلقاً فقد قيده بيوم القيامة

قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري: ورد حديث السيادة مقيداً بيوم القيامة عن أبي هريرة في الصحيحين، وعن أبي سعيد الخدري في مسند أحمد وسنن الترمذي وابن ماجه، وعن عبد الله بن عمر بن العاص في صحيح ابن حبان وعن واثلة في صحيح ابن حبان أيضاً، وعن أنس في مسند أحمد وغيره من طرق، وعن عبد الله بن سلام عند أبي يعلى والطبراني، وعن عبادة عند الحاكم وعن غيرهم، قال العلماء: السيد لغة المفزوع إليه في الشدائد ليدفعها أي شدة كانت والتقيد بيوم القيامة مع أنه سيد في الدنيا والآخرة لأنه اليوم الذي يلجأ إليه فيه آدم وولده ويظهر فيه سؤدده بلا منازع بخلاف الدنيا فقد نازعه فيه ملوك الكفار وزعماء المشركين وهو من معنى قوله تعالى: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ غافر: 16 لأنه اليوم الذي تنقطع فيه دعوى الربوبية لغير الله تعالى اه، وتقدم حديث (أنا أول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع)، انتهى.

فقال: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع).

19- ومنها: أنه صلى الله عليه وآله وسلم أخبر أنه يرغب إليه الخلق كلهم يوم القيامة حتى إبراهيم.

قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري: تقدم تخريج هذا الحديث من صحيح مسلم، انتهى.

20- ومنها: أنه قال: (الوسيلة منزلة في الجنة لا ينبغي أن تكون إلا لعبد من عبيد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة).

قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري: في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليّ فإنه من صلى عليّ صلوة صلي الله عليه بها عشرة ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة)، قال القرطبي: هذا الرجاء قبل علمه صلى الله عليه وآله وسلم بأنه صاحب المقام المحمود، ومع ذلك فإن الله يزيده بدعاء أمته له رفعة كما يزيدهم بصلاتهم عليه. هـ، ومعنى حلت عليه الشفاعة أي وجبت له، وهذا لمن فعل ذلك بصدق نية، انتهى.

21- ومنها أنه يدخل من أمته الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ولم يثبت ذلك لغيره.

قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري: في الصحيحين عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (عُرِضت عليَّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذ رُفِع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر، فنظرت سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب)، ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب فقال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً، وذكروا أشياء فخرج رسول الله فقال (ما الذي تخوضون فيه)؟ فأخبروه، فقال: (هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون) فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم فقال (أنت منهم) ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم فقال (سبقك بها عكاشة) ولحديث السبعين ألفاً طرق في الصحيحين عن أبي هريرة وغيره، وفي حديث سهل بن سعد (ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفاً أو سبعمائة ألف - لا يدري أبو حازم أيهما قال - متماسكون آخذ بعضهم بعضاً لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم وجوههم على صورة القمر ليلة البدر) رواه الشيخان، وفي سنن الترمذي

بإسناد حسن عن أبي أمامة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول (وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعين ألفاً وثلاث حثيات من ربي)، انتهى.

## 22- ومنها: الكوثر الذي أعطيه في الجنة، والحوض الذي أعطيه في الموقف.

قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري: الكوثر نهر في الجنة، وحوض في الموقف، وأولهما يصب في ثانيهما، وكذلك ورد في الأحاديث الكثيرة الصحيحة، فروى أحمد ومسلم وغيرهما عن أنس قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين أظهرنا في المسجد إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسماً قلنا ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: (لقد أنزلت عليّ أنفاً سورة، فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ، إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ الكوثر: 1-3 ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير، وهو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم في السماء، فيختلج العبد منهم، فأقول: يا رب إنه من أمتي، فيقول: أنت لا تدري ما أحدث بعدك)، وفي الصحيحين عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال (بينما أنا أسير في الجنة - يعني ليلة الإسراء - إذا أنا بنهر حافته قباب الدر المجوف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فإذا طينه مسك أزفر).

قلت: تواترت أحاديث الكوثر والحوض إذ قد وردت من طريق ثمانين صحابياً كما في فتح الباري، وقال القرطبي تبعاً لعياض، مما يجب على كل مكلف أن يعلمه ويصدق به أن الله تعالى قد خص نبيه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالحوض المصرح باسمه وصفته وشرابه في الأحاديث الصحيحة الشهيرة التي يحصل بمجموعها العلم القطعي، إلى أن قال، وأجمع على إثباته السلف وأهل السنة من الخلف وأنكرت ذلك طائفة من المبتدعة وأحالوه على ظاهره وغلوا في تأويله من غير استحالة عقلية ولا عادية تلزم من حملة على ظاهره ولا حاجة تدعوا إلى تأويله فخرق من حرفه إجماع السلف وفارق مذهب أئمة الخلف اه، قلت وردت أحاديث تفيد أن لكل نبي يوم القيامة حوضاً يرده أتباعه وفي أسانيدنا لين، قال الحافظ ابن حجر: وإن ثبت ذلك فالمختص بنبينا صلى الله عليه وآله وسلم الكوثر الذي يصب من مائة في حوضه فإنه لم ينقل نظيره لغيره ووقع الامتنان عليه به في سورة الكوثر اه.

**23- ومنها: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (نحن الآخرون السابقون) الآخرون: زماناً، السابقون: بالمناقب والفضائل.**

قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري: في الصحيحين عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول (نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد

أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم -يعنى يوم الجمعة- فاختلفوا فيه فهدانا الله له، فالناس لنا فيه تبع اليهود غداً والنصارى بعد غداً) معنى الحديث أن الله فرض عليهم يوماً في الأسبوع يعظمونه ويتعبدون فيه فوق اختيارهم على يوم السبت، بل ورد عن السدي: أن الله فرض على اليهود الجمعة فأبوا، وقالوا: يا موسى أن الله لم يخلق يوم السبت شيئاً فأجعله لنا فجعل عليهم، رواه ابن أبي حاتم، وهدانا الله للجمعة، كما صح عن ابن سيرين قال: جمع أهل المدينة قبل أن يقدمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقبل أن تنزل الجمعة، فقالت الأنصار: إن لليهود يوماً يجتمعون فيه كل سبعة أيام، وللنصارى كذلك، فهلم فلنجعل يوماً نجتمع فيه فنذكر الله تعالى ونصلي ونشكره فجعلوه يوم العروبة، واجتمعوا إلى أسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ وأنزل الله تعالى بعد ذلك ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ الجمعة: 9، رواه عبد الرزاق بإسناد صحيح، العروبة بفتح العين اسم يوم الجمعة قبل الإسلام، وقوله (بيد أنهم) -بفتح الباء والـدال- أي غير أنهم، انتهى.

24- ومنها: أَنَّهُ أُحِلَّتْ لَهُ الْغَنَائِمُ، وَلَمْ تَحَلَّ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ، وَجُعِلَتْ صَفُوفُ أُمَّتِهِ كَصَفُوفِ الْمَلَائِكَةِ، وَجُعِلَتْ لَهُ الْأَرْضُ مَسْجِداً وَتُرَابُهَا طَهوراً، وَهَذِهِ الْخِصَائِصُ تَدُلُّ عَلَى عُلُوِّ مَرْتَبَتِهِ وَالرَّفَقِ بِأُمَّتِهِ.



قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري في الصحيحين عن جابر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأیما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة) وفي صحيح مسلم من حديث حذيفة (فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً وجعلت تربتها لنا طهوراً إذا لم نجد الماء)، قال: وذكر خصلة أخرى، وهذه الخصلة المبهمة بينها ابن أبي شيبة وابن خزيمة والنسائي وأبو نعيم والبيهقي وهي: (وأعطيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعط منه أحد قبلي ولا يعطى منه أحد بعدي)، انتهى.

25- ومنها: أَنَّ الله تعالى أثنى على خُلُقِهِ فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم: 4، واستعظامُ العظامِ للشيءِ يَدُلُّ على إِيغاله في العظمة، فما الظنُّ باستعظامِ أعظم العظامِ.

قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري: روى ابن جرير في تفسيره عن سعد بن هشام قال أتيت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وعن أبيها فقلت لها أخبريني بخلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: كان خلقه القرآن أما تقرأ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ

خُلِقَ عَظِيمٌ» القلم: 4" وفي صحيح مسلم نحوه من حديث طويل، وفي مسند أحمد عن قيس بن وهب عن رجل من بني سواد قال: سألت عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: أما تقرأ القرآن ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وفي المسند أيضاً عن الحسن البصرى قال: سألت عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت "كان خلقه القرآن"، قال الحافظ ابن كثير: ومعنى أنه صلى الله عليه وآله وسلم صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجية له وخلقاً تطبعه وترك طبعه الجبلي فمهما أمره القرآن فعله ومهما نهاه عنه تركه هذا مع ما جبله الله تعالى من الخلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خلق جميل اهـ، والله در القائل:

أرى كل مدح في النبي مقصراً  
وإن بالغ المثني عليه وأكثر  
إذا الله أثني بالذي هو أهله  
عليه فما مقدار ما يمدح الورى؟

26- ومنها: أن الله كلمه بأنواع الوحي، وهي ثلاثة:

إحداها: الرؤيا الصالحة

والثاني: الكلام من غير واسطة

والثالث: مع جبريل عليه السلام

قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري: أما الرؤيا ففي الصحيحين عن عائشة قالت: (أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح) الحديث، وأما الكلام من غير واسطة فتقدم أنه كان ليلة الإسراء، وأما الوحي مع جبريل عليه السلام فهو غالب أحواله، انتهى.

27- ومنها: أَنَّ كُتَابَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، مُشْتَمِلٌ عَلَى مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ وَالزَّبُورُ وَفُضِّلَ بِالْمَفْضَلِ.

قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري: روى أحمد والطبراني عن وائلة بن الأسقع رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (أعطيت مكان التوراة السبع وأعطيت مكان الزبور المثين وأعطيت مكان الإنجيل المثاني وفضلت بالمفضل)، وللطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أعطاني ربي السبع الطوال مكان التوراة والمثين مكان الإنجيل وفضلت بالمفضل) فيه راو ضعيف، لكن صح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: أن السبع الطوال مثل التوراة والمثين مثل الإنجيل والمثاني مثل الزبور، وسائر القرآن بعد فضل، ومثل هذا لا يقال بالرأي فله حكم المرفوع، السبع الطوال من (أول البقرة وآخرها) مجموع (الأنفال) (وبراءة) لأنه لم يفصل بينهما في المصحف الإمام، وبعضهم عدَّ (يونس) في الطوال ولم يعد (براءة والأنفال)،

والأول أصح ثم ذات المائة وهي السورة التي فيها مائة آية ونحوها، ثم (المثاني) وهي ما كانت أقل من المائة وأكثر من الفصل ثم المفصل واختلف فيه فليل يبتدئ من (الصافات) وقيل من سورة (الفتح) وقيل من سورة (ق) وقيل غير ذلك، ومنتهاه آخر القرآن بالاتفاق، انتهى.

**28- ومنها: أن أمة أقل عملاً ممن قبلهم من الأمم، وأكثر أجراً، كما جاء في الحديث الصحيح.**

قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري: وهو ما رواه البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس، أوتي أهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى إذا انتصف النهار عجزوا فأعطوا قيراطاً قيراطاً، وأوتي أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا إلى صلاة العصر ثم عجزوا فأعطوا قيراطاً قيراطاً، ثم أوتينا القرآن فعملنا إلى غروب الشمس فأعطينا قيراطين قيراطين فقال أهل الكتابين أي ربنا أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين وأعطيتنا قيراطاً قيراطاً ونحن كنا أكثر عملاً قال الله تعالى (هل ظلمتكم من أجركم من شيء) قالوا: لا، قال: (هو فضلي أوتيته من أشياء)، وروى البخاري أيضاً عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوماً يعملون له عملاً إلى الليل فعملوا إلى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا

إلى أجرك فاستأجر آخرين فقالوا أكملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا لك ما عملنا فاستأجر قوماً فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا أجر الفريقين) وللحديث طرق وألفاظ في الصحيحين، انتهى.

29- ومنها: (أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَرَضَ عَلَيْهِ مَفَاتِيحَ كَنُوزِ الْأَرْضِ، وَخَيَّرَهُ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا مَلِكًا، أَوْ نَبِيًّا عَبْدًا، فَاسْتَشَارَ جَبْرِيْلَ فَأَشَارَ عَلَيْهِ أَنْ تَوَاضَعَ فَقَالَ: بَلْ نَبِيًّا عَبْدًا، أَجْوَعُ يَوْمًا وَأَشْبَعُ يَوْمًا، فَإِذَا جَعْتُ دَعَوْتُ اللَّهَ، وَإِذَا شَبِعْتُ شَكَرْتُ اللَّهَ) قصد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَكُونَ مَشْغُولًا بِاللَّهِ فِي طَوْرِي الشِّدَّةِ وَالرِّخَاءِ، وَالنِّعْمَةِ وَالْبَلَاءِ.

قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري: في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (نصرت بالرعب وأعطيت جوامع الكلم وبينما أنا نائم إذ جيء بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت بين يدي)، قال أبو هريرة: فقد ذهب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنتم تنتثلونها، وأخرج الطبراني بسند حسن والبيهقي في الزهد عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم وجبريل على الصفاء فقال: (يا جبريل ما أمسى لآل محمد سفة من دقيق ولا كفة من سوق فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هدة من السماء فأثاه

إسرافيل فقال: إن الله سمع ما ذكرت فبعثني إليك بمفاتيح خزائن الأرض وأمرني أن أعرض عليك أسير معك جبال تهامة زمرداً وياقوتاً وذهباً وفضة فعلت فإن شئت نبياً ملكاً وإن شئت نبياً عبداً، فأوماً إليه جبريل أن تواضع، فقال: بل نبياً عبداً، ثلاثاً)، وأخرج ابن سعد وأبو نعيم عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (عرض عليّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت لا يا رب ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك وإذا شبعت حمدتك وشكرتك). وفي الباب أحاديث أخرى وإلى هذا أشار البوصيري عليه الرضوان بقوله في البردة:

وراودته الجبال الشمم من ذهب  
عن نفسه فأراهها أيما شمم

**30-** ومنها: أن الله تعالى أرسله رحمةً للعالمين، فأمهّل عصاة أمته، ولم يُعاجلهم إبقاء عليهم، بخلاف من تقدّمه من الأنبياء، فإنهم لما كذبوا عوجل مكذبهم.

قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري: في صحيح مسلم عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إن الله عز وجل إذا أراد رحمة أمة من عباده قبض نبيها قبلها فجعله لها فرضاً وسلفاً بين يديها وإذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حي فأهلكها وهو ينظر فأقر عينيه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره)،

الفرط بفتح الفاء والراء هو الذي يتقدم الواردة فيهيئ لهم الدلاء والحياض، يريد أنه يتقدم بين أيديهم يشفع فيهم وينفعهم كالذي يتقدم الواردة في الحديث استعارة حسنة وتجوز بديع، وقد قص الله تعالى في كتابه الكريم ما عذب به الأمم السابقة حين كذبوا رسلهم وعصوا أمرهم، وقال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ، وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ الأنفال: 33" فكان وجوده صلى الله عليه وآله وسلم مانعاً من نزول العذاب بالمكذبين من أمته، وهذا غاية الرحمة، انتهى.

**31-** وأما أخلاقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي حِلْمِهِ وَعَفْوِهِ وَصَفْحِهِ وَصَبْرِهِ وَشُكْرِهِ، وَلِينِهِ فِي اللهِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَغْضَبْ لِنَفْسِهِ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِإِتْمَامِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ

قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري: في المسند بإسناد حسن عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق) وللحديث طرق وألفاظ في جزء "مكارم الأخلاق" للخراطي وهو مطبوع، انتهى. وما نُقِلَ مِنْ خُشُوعِهِ وَخُضُوعِهِ، وَتَبَذُّلِهِ وَتَوَاضُّعِهِ، فِي مَأْكَلِهِ وَمَلْبَسِهِ، وَمَشْرَبِهِ وَمَسْكَنِهِ، وَجَمِيلِ عُنْتَرَتِهِ، وَكَرِيمِ خَلِيقَتِهِ، وَحُسْنِ سَجِيَّتِهِ، وَنُصْحِهِ لِأُمَّتِهِ، وَحِرْصِهِ عَلَى إِيْمَانِ عَشِيرَتِهِ، وَقِيَامِهِ بِأَعْبَاءِ رِسَالَتِهِ، وَرَأْفَتِهِ بِالْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَتِهِ، وَغِلْظَتِهِ عَلَى الْكَافِرِينَ وَشِدَّتِهِ، وَجُهَادَتِهِ فِي نُصْرَةِ دِينِ اللَّهِ وَإِعْلَائِ كَلِمَتِهِ، وَمَا لَقِيَهِ مِنْ أذى قَوْمِهِ

وغيرهم، في وَطْنِهِ وَغُرْبَتِهِ، فبعض هذه المناقب موجودٌ في كتاب الله، وبعضها موجودٌ في كُتُب شمائله وسيرته.

32- أَمَا لِيْنُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِيْنَتْ لَهُمْ﴾ آل عمران: 159.

33- وَأَمَا بَشِدَّتُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْكَافِرِينَ، وَرَحْمَتُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ الفتح: 29.

34- وَأَمَا حِرْصُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى إِيمَانِ أُمَّتِهِ، وَرَأْفَتِهِ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَرَحْمَتِهِ وَشَفَقَتِهِ عَلَى الْكَافَةِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ التوبة: 128، أَي يَشِقُّ عَلَيْهِ مَا يَشِقُّ عَلَيْكُمْ - حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ - أَي عَلَى إِيمَانِكُمْ.

35- وَأَمَا نَصْحُهُ فِي أَدَاءِ رِسَالَتِهِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ الناريات: 54، وَلَوْ قَصَرَ لَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ اللَّوْمُ.

36- وَمِنْهَا: أَنَّ اللهُ تَعَالَى نَزَّلَ أُمَّتَهُ مَنزِلَةَ الْعُدُولِ مِنَ الْحُكَّامِ، فَإِنَّ اللهُ إِذَا حَكَّمَ بَيْنَ الْعِبَادِ فَجَحَدَتِ الْأُمَّمُ بِتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَحْضَرَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَيَشْهَدُونَ عَلَى النَّاسِ بِأَنَّ رُسُلَهُمْ أَبْلَغَتْهُمْ وَهَذِهِ الْخَصِيصَةُ لَمْ تَنْبُتْ لِأَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ



قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري: في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (يدعى نوح يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك يا رب فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير؟ فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته فيشهدون أنه قد بلغ ويكون الرسول عليكم شهيداً فذلك قوله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: 143) والوسط العدل، ورواه أحمد والنسائي وابن ماجه والإسماعيلي بلفظ (يجى النبي يوم القيامة ومعه الرجل ويجى النبي ومعه الرجلان ويجى النبي ومعه أكثر من ذلك، فيقال لهم: أبلغكم هذا؟ فيقولون: لا، فيقال للنبي: أبلغتهم؟ فيقول: نعم، فيقال له: من يشهد لك؟). وذكر الحديث كما ذكره البخاري وإسناده صحيح زاد في آخره (فيقال: وما علمكم؟ فيقولون أخبرنا نبينا أن الرسل قد بلغوا فصدقناه)، وأخرج ابن أبي حاتم بسند جيد عن أبي بن كعب في هذه الآية قال: (لتكونوا شهداء على الناس وكانوا شهداء على الناس يوم القيامة، كانوا شهداء على قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم شعيب وغيرهم إن رسلهم بلغتهم وإنهم كذبوا رسلهم)، وروي أيضاً عن جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (ما من رجل من الأمم إلا ود أنه منا أيتها الأمة ما من نبي كذبه قومه إلا ونحن شهداؤه يوم القيامة أنه قد بلغ رسالة الله ونصح قومه)، انتهى.

### 37- ومنها: عصمة أمته بأنّها لا تجتمع على ضلالة في فرع ولا في أصل.

قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري: لأحاديث الحض على لزوم الجماعة وإتباع السواد الأعظم وأن الأمة لا تجتمع على ضلالة وأن يد الله على الجماعة وما في هذا المعنى مما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من طرق تفيد التواتر فقد رواه عمر بن الخطاب وابنه عبد الله وابن عباس وأبو هريرة وأنس وأبو مالك الأشعري وأبو بصرة الغفاري وحذيفة وأبو ذر ومعاذ وعجرفة وابن مسعود وأبو سعيد ومعاوية ورجل من الصحابة وأسامة بن شريك والحارث الأشعري وأبو قرصافة وسمرة بن جندب وغيرهم وورد عن أبي مسعود موقوفاً وله حكم الرفع، وقد عزوت أحاديث هؤلاء في كتابي "الابتهاج بتخريج أحاديث المنهاج" للبيضاوي في علم الأصول، انتهى.

38- ومنها: حفظ كتابه، فلو اجتمع الأولون والآخرون على أن يزيدوا فيه كلمة، أو يُنقصوا منه كلمة لعجزوا عن ذلك، ولا يخفى ما وقع من التبديل في التوراة والإنجيل.

قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري: أخرج البيهقي عن يحيى بن أكثم قال: دخل يهودي على المأمون فتكلم فأحسن الكلام فدعاه المأمون إلى الإسلام فأبى، فلما كان بعد سنة جاءنا مسلماً فتكلم على الفقه فأحسن الكلام فقال له المأمون: ما

كان سبب إسلامك قال: انصرفت من حضرتك فأحببت أن أمتحن هذه الأديان فعمدت إلى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها المعبد فاشتريت مني، وعمدت إلى الإنجيل فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها الكنيسة فاشتريت مني، وعمدت إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها الوراقين فتصفحوها فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها فلم يشتروها، فعلمت أن هذا كتاب محفوظ فكان هذا سبب إسلامي، قال يحيى بن أكثم فحجيت تلك السنة فلقيت سفيان ابن عتيبة فذكرت له الحديث فقال لي مصداق هذا في كتاب الله تعالى، قلت في أي موضع، قال في قوله تعالى في التوراة والإنجيل: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ المائدة: 44 "فجعل حفظه إليهم فضاع، وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾" الحجر: 9" فحفظه الله تعالى علينا فلم يضع، انتهى.

39- ومنها: أَنَّ اللَّهَ سَتَرَ عَلَى مَنْ لَمْ يَتَقَبَّلْ عَمَلَهُ مِنْ أُمَّتِهِ، وَكَانَ مَنْ قَبْلَهُمْ يُقَرَّبُونَ الْقَرَابِينَ، فَتَأْكُلُ النَّارُ مَا تَقَبَّلَ مِنْهَا، وَتَدَعُ مَا لَمْ يَتَقَبَّلْ، فَيَصْبِحُ صَاحِبَهُ مُفْتَضِحًا

قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري: كان هذا من شرائع الأمم السابقة كما قصه الله علينا في كتابه الكريم بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾ آل عمران: 183 وقال تعالى: ﴿وَآتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ

لَأَقْتُلَنَّكَ» المائدة: 27" ورد في التفسير أن النار نزلت على قربان هابيل، فأخذته وبذلك عرف قابيل أن قربانه لم يتقبل، وثبت في بعض طرق حديث إحلال الغنائم، أن من قبلنا كانوا إذا غنموا غنائم جمعوها فتجئ نار فتأخذها فإذا حصل فيها غلول لم تأخذها النار، انتهى.

ومثل ذلك قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء: 107، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (إنما أنا رحمة مهداة)، وقال: (أنا نبي الرحمة).

قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري: أخرج ابن أبي حاتم وابن جرير والطبراني والبيهقي عن ابن عباس، قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء: 107" قال: من آمن تمت له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن عوفي مما كان يصيب الأمم في عاجل الدنيا من العذاب من الخسف والمسخ والقذف، وأخرج أبو نعيم عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الله بعثني رحمة للعالمين وهدى للمتقين)، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قيل يا رسول الله ألا تدعوا على المشركين؟ قال: (إنما بعثت رحمة ولم أبعث عذاباً) وفي المستدرک عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة) صححه الحاكم على شرط الشيخين وسلمه الذهبي، وفي صحيح مسلم عن أبي موسى الأشعري قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسمي لنا نفسه أسماء فقال: (أنا محمد وأحمد والمقفي والحاشرونبي التوبة ونبي الرحمة)، انتهى.

40- ومنها: أَنَّهُ بُعِثَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، وَاخْتَصَرَ لَهُ الْحَدِيثَ  
اخْتِصَاراً وَفَاقَ الْعَرَبَ فِي فَصَاحَتِهِ وَبَلَغَتِهِ

قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري: تقدم حديث الصحيحين في أنه أعطي  
جوامع الكلم، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم  
قال: (فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت  
لي الغنائم وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي  
النبيون)، وروى ابن شعبة في مسنده وأبو يعلى عن أبي موسى قال: قال رسول الله  
صلى الله عليه وآله وسلم: (أعطيت فواتح الكلم وجوامعه وخواتمه) إسناده حسن،  
وفي مسند أبي يعلى بإسناد حسن أيضاً عن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله  
عليه وآله وسلم: (أعطيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصاراً) اختلف في  
جوامع الكلم فقال جماعة: هو القرآن، وقال الزهري: بلغني أن جوامع الكلم أن الله  
تعالى يجمع له الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الوحي قبله، في الأمر الواحد،  
والأميرين أو نحو ذلك، ومعنى هذا أنه أعطي الكلمات البليغة الوجيزة الجامعة  
للمعاني الكثيرة وتصح إرادة الكل كما لا يخفى، وفواتح الكلم حسن التوصل إلى  
غموض المعاني التي أغلقت على غيره، وخواتمه ختم الكلام بمقطع وجيز بليغ جامع،  
ومعنى هذا كما قال القرطبي وغيره أن كلامه صلى الله عليه وآله وسلم من مبدئه

إلى خاتمته كله بليغ وجيز جامع، ولا غرو - ولا عجب - فهو صلى الله عليه وآله وسلم أفصح العرب لساناً وأبلغهم كلاماً وأعذبهم منطقاً، انتهى.  
وكما فضّله الله على أنبيائه ورُسُله من البَشَر، فكذلك فضّله على مَنْ اصطفاه من رُسُله من أهل السماء

قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري: أخرج أبو يعلى والطبراني والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن الله تعالى فضل محمداً صلى الله عليه وآله وسلم على أهل السماء وعلى الأنبياء، قالوا: يا ابن عباس فما فضله على أهل السماء قال "إن الله تعالى قال لأهل السماء: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾" الأنبياء: 29" وقال لمحمد: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا، لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ الفتح: 1-2" فقد كتب له براءة، قالوا: فما فضله على الأنبياء؟ قال: أن الله تعالى قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ إبراهيم: 4" وقال لمحمد: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾ سبأ: 28" فأرسله إلى الإنس والجن، انتهى.

ملائكته، لأنّ أفاضل البَشَر أفضل من الملائكة، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ البينة: 7، والملائكة من جملة البرية، لأنّ البرية الخليقة، مأخوذ من برأ الله الخلق أي اخترعه وأوجدّه.

ولا تدخل الملائكة في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مع أنهم قد آمنوا وعملوا الصالحات لأن هذا اللفظ مُحْتَصَّ بِعُرْفِ الاستعمال بمن آمن من البشر، بدليل أنه هو المتبادر إلى الأفهام عند الإطلاق.

فإن قيل: البرية مأخوذ من البرى، وهو التراب، والبشر مخلوق من التراب، فكأنه قال: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البشر، فالجواب من وجهين:

الوجه الأول: أن أمة اللغة قد عدوا البرية في جملة ما تركت العرب همزة. والوجه الثاني: وهو الأظهر - أن نافعاً قرأ بالهمزة، فكلا القراءتين كلام الله، فإن كانت إحدى القراءتين قد فضلت الذين آمنوا وعملوا الصالحات على سائر البشر، فقد فضلتهم القراءة الأخرى على سائر الخلق وإذا ثبت أن أفاضل البشر أفضل من الملائكة

قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري: هذا على مذهب الأشاعرة وعزاه الحافظ في الفتح إلى جمهور أهل السنة، والآية التي استدل بها المؤلف على ذلك، استدل بها أيضاً أبو هريرة وطائفة من العلماء، والذي نعتقه وندين الله عليه أن الملائكة أفضل من جميع بني آدم ما عدا الأنبياء عليهم السلام، وأن أفاضل البشر كأبي بكر رضي الله عنه لا يبلغون درجة ملك من الملائكة عليهم السلام فضلاً عن أن يكونوا أفضل منه، أما الأنبياء فهم أفضل من الملائكة على مذهب جمهور أهل السنة، لأدلة مبسطة في محلها من كتب التوحيد، ومن الدليل على تفضيل

الملائكة على غير الأنبياء قوله تعالى: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا﴾<sup>فاطر:1</sup> وغير الرسول لا يكون أفضل من الرسول إجماعاً، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾<sup>الاسراء:70</sup> ولا شك أن بني آدم أفضل من الجن والحيوان بلا نزاع، ولو كانوا أفضل من الملائكة لقال تعالى وفضلناهم على جميع من خلقنا تفضيلاً، لكنه عبر بكثير لينص على إخراج الملائكة وأنهم أعلى من أن يدخلوا في هذه المفاضلة، وإخبار الله عنهم في غير آية بأنهم مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وأنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وأنهم من الله مقربون، وأفاضل البشر تجوز عليهم المعاصي ولهم فترات يغفلون فيها عن عبادة الله، وقوله تعالى في الحديث الصحيح القدسي: (أنا عند حسن ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خيراً منهم) قال ابن بطال - في قوله - ذكرته في ملاء خير منهم وهذا نص في أن الملائكة أفضل من بني آدم وهو مذهب جمهور أهل العلم وعلى ذلك شواهد القرآن مثل: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾<sup>الأعراف:20</sup> والخالد أفضل من الفاني فالملائكة أفضل من بني آدم. اهـ، وتعقبه الحافظ متمشياً مع رأي الأشاعرة، وهذا من هفواته رحمه الله ورضي عنه، وفي المسألة أدلة أخرى لبسطها موضع غير هذا، ومن اللطائف في هذا الباب أن القاضي أبا البركات محمد بن الحاج السلمي -



وهو من شيوخ ابن خلدون - استدل على تفضيل الملائكة بأن الله أسجدهم لآدم، فنظر بعض الحاضرين إلى بعض وقال جن القاضي: أتقولون أن أمر الله الملائكة السجود لآدم أمر ابتلاء واختبار؟ قالوا: نعم، قال: أفيختبر تواضع العبد بالخضوع لسيده؟ أم الأمر بالعكس؟ قالوا: إنما يختبر تواضع السيد بالخضوع لعبده، قال: فكذا الملائكة وآدم لو لم يكونوا أفضل منه ما اختبر حالهم بالأمر بالسجود له فأذعنوا لذلك اه، نقله في نفع الطيب، ونظر فيه ابن الحاج في حاشية المرشد المعين بأن الظاهر أن السجود إكرام لا اختبار اه، وفي التنظير نظراً لأنه لا مانع أن يكون السجود إكراماً وتحية لآدم واختبار للملائكة، بل أوامر الله كلها لا تخلوا أن تكون اختبارات من الله لعباده، وإن كانت في الوقت نفسه تشتمل على حكم ومصالح للعباد، يؤيد ما ذكرناه أن الملائكة مخلوقون من نور كما جاء في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (خلقت الملائكة من نور وخلق الجن من نار وخلق آدم مما وصف لكم) ولا شك أن النور أفضل من التراب فكان سجودهم لآدم امتحان أي امتحان، ولولا أنهم معصومون لقالوا كما قال إبليس لعنه الله - وهو من الجن - ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ الأعراف: 12 وهذا واضح لا خفاء فيه، انتهى.

فالأنباء صلواتُ الله عليهم أفضل الذين آمنوا وعملوا الصالحات، بدليل قوله تعالى بعد ذكر جماعة من الأنبياء: ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 86]، فدلت هذه الآية على أنهم أفضل البشر، وأفضل من الملائكة، لأن الملائكة من العالمين، سواء كان العالم مُشتقاً من العلم أو من العلامة.

وإذا كانت الأنبياء أفضل من الملائكة، ورسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من الأنبياء، فقد ساد سادات الملائكة، فصار أفضل من الملائكة بدرجتين، وأعلى منهم برُتبتين

قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري: هذا على ما مشى عليه المؤلف أما على ما اخترناه وهو الراجح فيكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من الملائكة بدرجة وأعلى منهم برتبة، وكفى بذلك شرفاً وفخراً، انتهى.

لا يعلم قدر تلك الرُتبتين، وشرف تلك الدرجتين إلا من فضل خاتم النبيين وسيّد المرسلين على جميع العالمين.

وهذه لمع وإشارات يكتفي العاقل الفطن بمثلها، بل ببعضها. ونحن نسأل الله تعالى بمنه وكرمه أن يوفقنا لاتِّباع رسوله في سنته وطريقته وجميع أخلاقه الظاهرة والباطنة، وأن يجعلنا من أحزابه وأنصاره بمنه وكرمه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأزواجه وسلم تسليماً كثيراً آمين يا رب العالمين.

## خاتمة

قال الإمام أبو سعد النيسابوري في كتاب (شرف المصطفى) الفضائل التي فضل بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم على سائر الأنبياء ستون خصلة اه، وقال الحافظ: لم أقف على من عدّها وقد تتبعت الأحاديث والآثار فوجدت القدر المذكور وثلاثة أمثاله معه وقد رأيتها أربعة أقسام:

- 1- قسم اختص به في ذاته في الدنيا.
- 2- وقسم اختص به في ذاته في الآخرة.
- 3- وقسم اختص به في أمته في الدنيا.
- 4- وقسم اختص به في أمته في الآخرة، اه.

ثم سردها مفصلة في كتاب (الخصائص الكبرى) وهو مطبوع في الهند في مجلدين فليراجع.

وهذا آخر ما أردنا كتابته على هذه الرسالة المباركة، نسأل الله أن يجعله عملاً متقبلاً وأن يكون سبباً نتوسل به لدى نبيه الكريم عسى أن يشملنا بشفاعته الخاصة في الموقف العظيم:

إن لم يكن في معادي أخذاً بيدي  
فضلاً وإلا فقل يا زلزلة القدم

والحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على نبيه شفيع الخلق أجمعين

وعلى آله الأكرمين، وصحابته والتابعين.

تم بحمد الله

بداية السؤل في تفضيل الرسول



## الإجازة بالكتاب<sup>1</sup>

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شرفنا بالإسناد، وجعلنا من أتباع خير العباد صلى الله عليه وعلى آله  
الشم الشوامخ وعلى أصحابه الأوتاد وعلى كل من تمسك بهديه من عامة المؤمنين  
المسلمين والعلماء الأولياء العاملين والنجباء والأقطاب والأبدال والأوتاد إلى يوم  
الميعاد،، أما بعد،،

فأقول أنا العبد الفقير إلى ربه، أحمد بن منصور بن إسماعيل قرطام، أروي كُتُب  
سلطان العلماء العز بن عبد السلام، من طُرُقٍ عدة وَأَسْهَلُهَا عَلَيَّ وَأَرْقَاهَا:

عن سيدي الحافظ المجتهد الأصولي المتكلم المتفنن في شتى العلوم الولي الصالح  
المجاب الدعوة عبد الله بن محمد بن محمد الصديق الغماري الإدريسي الحسني  
المغربي المولود سنة 1328 هجري 1910 رومي والمتوفى سنة 1413 هجري الموافق 1993  
رومي، عن الشيخ محمد إمام السقا الشافعي الأزهري المصري المولود سنة 1283  
هجري الموافق 1866 رومي والمتوفى سنة 1354 هجري الموافق 1935 رومي، عن والده  
العلامة الشيخ إبراهيم بن علي السقا الشافعي الأزهري المصري المولود سنة 1212  
هجري الموافق 1797 رومي والمتوفى سنة 1298 هجري الموافق 1881 رومي، عن العلامة  
محمد الأمير الكبير السنباوي المالكي المغربي المصري المولود سنة 1154 هجري الموافق

(1) من أراد أن يستزيد فعليه بالرجوع إلى كتاب الإسهام بسندي إلى سلطان العلماء العز بن عبد السلام.

1741 رومي والمتوفى سنة 1232 هجري الموافق 1817 رومي، عن الشهاب أحمد بن الحسن الجوهري الشافعي الأزهري المصري المولود سنة 1096 هجري الموافق 1685 رومي والمتوفى سنة 1182 هجري الموافق 1768 رومي، والشهاب الإمام المعمر شيخ الشيوخ المسند أحمد بن عبد الفتاح بن عمر المجيري الملوي الشافعي الأزهري المصري المولود سنة 1088 هجري الموافق 1677 رومي والمتوفى سنة 1181 هجري الموافق 1767 رومي كليهما، عن المسند عبد الله بن سالم البصري الشافعي المكي المولود سنة 1048 هجري الموافق 1638 رومي والمتوفى سنة 1134 هجري الموافق 1722 رومي عن الملا برهان الدين أبي الفضائل إبراهيم بن حسن الكردي الكوراني الصوفي الشافعي المدني المولود سنة 1025 هجري الموافق 1616 رومي والمتوفى سنة 1101 هجري الموافق 1690 رومي، عن الشيخ أحمد بن محمد بن يونس الدجاني القشاشي المالكي المقدسي المدني المولود سنة 991 هجري الموافق 1583 رومي والمتوفى سنة 1071 هجري الموافق 1661 رومي، عن شمس الملة والدين محمد بن شهاب الدين أحمد بن أحمد بن حمزة الرملي الشافعي المصري الأنصاري المولود سنة 919 هجري الموافق 1513 رومي والمتوفى سنة 1004 هجري الموافق 1596 رومي، عن شيخ الإسلام زكرياء بن محمد الأنصاري الشافعي المصري المولود سنة 826 هجري الموافق 1422 رومي والمتوفى سنة 926 هجري الموافق 1520 رومي، عن خاتمة الحفاظ أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني الشافعي المولود سنة 773 هجري الموافق 1372 رومي والمتوفى سنة 852

هجري الموافق 1448 رومي، عن أبي علي محمد بن أحمد بن علي بن عبد العزيز  
الفاضلي المهدي المصري الشهير بابن المطرز المتوفى سنة 797 هجري الموافق 1395  
رومي، عن فتح الدين أبي النون يونس بن إبراهيم بن عبد القوي الدبوسي الكناني  
العسقلاني المصري المولود في حدود سنة 635 هجري الموافق 1238 رومي والمتوفى سنة  
729 هجري الموافق 1329 رومي، عن سلطان العلماء عز الدين أبي محمد عبد العزيز  
بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الشافعي الدمشقي الشهير بالعز بن  
عبد السلام المولود سنة 577 هجري الموافق 1181 رومي والمتوفى سنة 660 هجري  
الموافق 1262 رومي، وبهذا السند وغيره من الأسانيد أروي كل كتبه.

## الإجازة

هذا وقد استجازني من أحسن الظنِّ بي، أحسن الله عقباه، وأنعم عليه من فضله كل ما يرجوه ويتمناه، مع أن حُسنَ الظنِّ من الكمال، سائلاً المولى أن يحشرنا مع أولئك الرجال، ملبياً سؤال المجاز السالك إلا أني لست مثل أولئك، لكنه تعين الطلب مني مع أني لست أهلاً لهذا الفن، فقلت وقد كساني الخجل مكره أخاك لا بطل، أنا العبد الفقير إلى الله الغني ذي الجلال والإكرام، أحمد بن منصور بن إسماعيل قرطام الحسيني المالكي التونسي الفلسطيني الأصل قد أجزت السيد الفاضل:

.....

.....

.....

.....

.....

بالشرط المعتر عند أهل الفن والأثر، وفق ما ضبطه حبيب الله الموريتاني الشنقيطي رحمه الله تعالى في منظومته (دليل السالك):

وهو التثبُّت بما قد أُشكلا      ثم المراجعةُ فيما أعضلا  
مع مشايخ العلوم المهرة      لا غير من حققه وحرره



ثم الرجوعُ في الحوادثِ إلى ما كان بالنقل يُرى مُحصلاً  
وعدمُ الجوابِ في استفتاء إلا مع التحقيق للأشياء  
وهو أن يثبت فيما أشكل عليه وأُعضل من عويص المسائل، مع أهل هذا الفن  
المهرة، وتحقيق ذلك وتحريره، والرجوع في النوازل والحوادث إلى مَنْ كان أهلاً بنقلها  
وارتوى في تحصيلها، وعدم الفتوى في هذه الفنون إلا بعد أن تتوفر فيه الشروط،  
ويتحصل على الإذن من أهل هذا الفن بعد ضبطه وتحقيقه.

وقال العلامة السفاريني الحنبلي الفلسطيني المولود سنة 1114 هجري الموافق 1702  
رومي والمتوفى سنة 1188 هجري الموافق 1774 رومي في إجازته لعثمان الرحباني  
الإجازات لا تفيد علماً، فمن حصل العلوم وأدرك منطوقها ومفهومها، فقد فاز  
وأجيز على معنى الحقيقة لا المجاز، ومن لا فلا، ولو ملأ سبت أمه إجازات، والله  
الموفق، انتهى كلامه.

قلت أنا العبد الضعيف قرطام:

أجيز على معنى الحقيقة لا المجاز، الذي للعلم بالفهم حاز، ومن لا فلا فاز ولا حاز  
ولا يستحق، أن يُجاز لا على معنى الحقيقة ولا المجاز.

موصياً له ولي بتقوى الله تعالى في الواجبات والمحرمات، وفي السر والعلن، وأن لا  
ينساني وأسيادي ومن علّمني من صالح دعائه في صلواته، وخلواته وجلواته، والعمل

بالكتاب والسنة واتباع منهج الأئمة الأعلام مالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة  
التُّعمان، ورثة الآل الكرام.

نفعني الله وإياكم بأسرار كتابه، ورزقني الله وإياكم الوقوف مع آدابه، وجعلني  
الله وإياكم من الأوفياء لأوليائه، وألهمني الله وإياكم محبة أصفياؤه، ووفقني الله  
وإياكم لاتباع خير أنبيائه، وحشرنني الله وإياكم في زمرة هذا النبي الكريم صلى  
الله عليه وعلى آله وأصحابه.

## وَكَتَبَ

أبو الفضل العباس أحمد بن منصور قرطام

كان الله له ولوالديه ولمشايخه

بمنه وفضله آمين آمين آمين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللهمَّ وسلِّم وزدْ وبَارِكْ على سيدنا ومولانا محمدٍ

وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين

إصدار



المركز الوطني للبحوث والدراسات

التابع لآل البيت - فلسطين

الموقع الإلكتروني: [www.alalbait.ps](http://www.alalbait.ps)

ISBN: 978-9938-72-215-4

